Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)

مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj

2019; 15(1);1-46

https://doi.org/10.52981/oiuj.v13i1.1632

ISSN: 5361-1858

فقه الدعوة من خلال المرحلة المكية

د/ إبراهيم علي مصطفى *

مستخلص البحث

الحمد لله وأصلي على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ولقد كان من نعم الله تعالى أن أكمل هذا البحث وهو بعنوان: فقه الدعوة من خلال المرحلة المكية. ولقد قسمته إلى مباحث، ومن خلال هذا البحث أرى أن هنالك مشاكل تدعو الباحث ليلقي الضوء عليها، من أهمها: ما طرأ في الواقع الدعوي وذلك من عدم ربط الماضي بالحاضر ويرى الباحث أن الدعوة تحتاج إلى فقه يعالج الواقع اليوم، ولابد من الرجوع إلى فقه الدعوة في العهد المكي.

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي ، أما حدود البحث فهي الفترة المكية من بداية الدعوة وحتى هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وتوصل الباحث لنتائج مهمة منها أن: الدعوة في كل عصر وفي كل مصر تحتاج إلى تجديد فقه. ومن أحسن الأساليب والوسائل في الدعوة تلك الخطة التي وضعت في بداية الدعوة ، والتدرج في الدعوة مع مراعاة حالة المدعوين أدى إلى إقلاع الناس عما ألفوه في الفترة المكية. و أن الحذر وأخذ الحيطة كان في بداية الدعوة أمراً ضرورياً. وتوصى الدراسة بالرجوع إلى فقه الدعوة في المرحلة المكية. وإعتماد فقه التدرج القرآني الذي أخذ بالمدعوين شيئاً فشيئاً. وعلى الدعاة الأخذ بمنهج المرحلة السرية والتبليغية والجهرية في كل وقت.

* استاذ مشارك بكلية الدعوة – جامعة أم درمان الإسلامية .

Abstract:

Praise be to Allah and His considerate Prophet (Peace and Blessing of Allah be upon Him), Allah bestowed me to complete this study entitled: "Jurisprudence of Dawa "Islamic Call" through the Meccan Stage". The study has been divided into enquiries, through this study, the researcher finds out that there are problems need to shed light on them, the most important of which are: the new events in reality of Dawaa "Islamic Call" which is are due to separation of the past from the present. The problem of this study lies in the fact that the Dawa "Islamic Call" requires jurisprudence 'Fiqh' that accompanies today' situation, it is prerequite to return to jurisprudence of Dawa "Islamic Call" in Meccan era.

The study employed the descriptive, method, the limits are represented in the Meccan Stage, before the emigration of Prophet Mohamed (Peace and Blessing of Allah be upon Him) to the holy madina.

The study achieved many important results: the Dawa "Islamic Call" requires a good knowledge of jurisprudence. The sequence of Dawa "Islamic Call" with callers leads people to refrain from their interest in the Meccan Stage. Carefulness and caution practiced in mecca at the beginning of Dawaa "Islamic Cal" is necessary even today. The study concludes with number of recommendations. The most important are: it is necessary to return to Quranic sequence that take the callers gradually. The Dawa scholars should follow the secret, informative and obvious stage throughout the time.

المقدمة:

الحمد لله الذي قدر الزمان والمكان ونصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الزمان والمكان، ثم نحمد الله تعالى أن جعل لنا مكة مكاناً لانطلاق الدعوة وقدر لهذه الدعوة أن يختلف فيها أسلوب الدعوة من مرحلة إلى مرحلة فكانت المرحلة التبليغية لها فقهها وأسلوبها ثم المرحلة التكوينية لها فقهها وأسلوبها ثم المرحلة الجهرية لها فقهها وأسلوبها.

وفي هذه المراحل نأخذ فقه الدعوة وهو من أهم ما نجد وهو إضاءة للدعوة في هذا الزمن الذي كثر فيه الغلو والتطرف وعدم الفهم، وأصبح بعض الدعاة يهملون فيه تلك المرحلة التي هي تمثل منهجاً مستقيماً كان وفقاً للتنزيل، فنجد فيه كيف دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس؟ وكيف يخرج صحابته من مأزق الكفار آنذاك وهم قلة؟ وكيف كان يؤدي عبادته وهو في الخفاء؟ ثم نجد أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، كانوا لا يستجيبون لاستفزاز الكفار فهل عدم الاستجابة هو من ضعف أم هو فقه المرحلة التي تتطلب ذلك، فنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أبو لهب يضع له الشوك على طريقه فيأتي إليهم فيقول له أي جوار هذا، ثم نجد أن ابن مسعود يضرب حتى يفقد وعيه عندما أسمع كفار قريش سورة الرحمن، ثم أن أباذر رضي الله عنه عندما أتى من أهله يسأل عن محمد صلى الله عليه وسلم لم يسأل أحداً بل اكتفى بالشرب من ماء زمزم وجلس أبو ذر في الحرم حتى سأله سيدنا علي رضي الله عنه فلم يجبه أبي ذر إلا بعد ما تأكد منه، ثم ذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خفية وحذر شديد ووضع له خطة نعرض لها في حينها إن شاء الله تعالى، وهنالك الكثير الذي نأمل أن نوفق فيه من فقه هذه المرحلة في هذا البحث والذي سوف اتبع فيه المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي إن شاء الله تعالى. وذلك كما نجد في الفصل الأول وهو المفهوم العام لفقه الدعوة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم ربط الدعاء بماضي الدعوة بواقع اليوم، حيث أن الدعوة تعترضها عقبات فلا بد من الخروج منها بمنهج الماضي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعريف بفقه الدعوة وذلك عبر مراحلها المختلفة (السرية والجهرية)، وكذلك كيفية التعامل مع واقع الدعوة في تلك اللحظات.

فروض البحث:

نجد هنالك عدة تساؤلات منها:

1. هل ما يعترض الدعوة من مشكلات اليوم يعتبر قصوراً من الدعاء أم من عدم وصول المضمون الدعوي الصحيح؟
2. هل فقه الدعوة الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة ألا يصلح لواقع اليوم؟
3. هل التدرج الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة ألا يتناسب مع واقع اليوم؟

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج القائم على الاستقراء والاستنباط .

هيكل البحث:

اشتمل البحث على ستة مباحث هي :-

- المفهوم العام لفقه الدعوة.
- فقه الدعوة من خلال مراحلها.
- دعوة الأفراد في المرحلة المكية.
- الحوار والمناقشة والإقناع في مكة مع أخذ الحذر.
- بيعة العقبة الأولى والثانية.
- مضمون الخطاب الدعوي.

بالاضافة إلى مقدمة منهجية وقائمة تضمنت نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

المفهوم العام لفقه الدعوة

الدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة هي الطلب واصطلاحاً هي تبليغ الناس بالإسلام وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع حياتهم.

ونرى أن فقه الدعوة هو فهم ما يقدم للداعية من علم يوضح له المضمون، وما يقدم من خلال واقع الزمان والمكان، وعلى الداعية أن يتفقه في أمر دينه، وأن يتعلم من قوله تعالى : (قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)(سورة يوسف الآية ١٠٨) الأمر الذي سيبلغه للناس، لأن البصيرة تعني المعرفة والجهل يترتب عليه إضرار يعرض الدعوة لهجوم أعدائها عليها، وتمكنهم من النيل منها وتشويهها.

والإنسان عادةً لا يستطيع أن يمنح شيئاً ليس عنده، إذ فاقد الشيء لا يعطيه، والناس أعداء لما جهلوا، فإذا لم يكن الداعية على جانب من العلم والفقه يمكنه من شرحها، ودفع الشبهات والافتراءات عنها كان ضرره عليها أكثر من نفعه.

ونرى أن الطفيل بن عمرو لما دخل الإسلام في قلبه تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بيته ثم دخل عليه، وأخبره بأنه أسلم، وقال: أعرض عليَّ أمرك فعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، عندئذٍ استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يدعو قومه إلى ما آمن به فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما دعا الطفيل والده واستجاب قال له: اذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعالى حتى أعلمك ما علمت. هكذا يقول الطفيل: (حتى أعلمك ما علمت) وهو بهذا يريد أن يفهم ويتعلم، إذ ليست الدعوة حماساً وخطباً ولكنها علم وعمل.

وأما ضمام بن ثعلبه فإنه عندما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغادر مجلسه حتى تعلم أركان الإسلام، وعرف الحلال والحرام، وعاد إلى قومه فأعلن إسلامه، وقال لقومه: إن الله بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، ثم نطق بالشهادتين وقال: وإني قد جئتكم من عنده لما أمركم به ونهاكم عنه، وكذلك نجد من فقه الدعوة في المبحث الأول[1].

المبحث الثاني

فقه الدعوة من خلال مراحلها

أولاً: المرحلة التبليغية:

بدأت هذه الدعوة عندما أتى البلاغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى إليه قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق، الآية ١) وأُنزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ (سورة المدثر، الآيات ١ – ٢) حيث قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله تعالى مبلغاً في سره فكان البلاغ حيث يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم الأفراد والجماعات في مكة المكرمة ويدعو الناس سراً.

ونلاحظ أن هذه الدعوة بدأت بأمر الرسول صل الله عليه وسلم بالقراءة : قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق، الآية: 1) لقد أورد الشيخ ابن كثير حيث قال: (فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التثنية على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان كنظري ورسمي والرسمي يستلزمهما من غير عكس فلهذ ا قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (سورة العلق، الآيات: 3-5) وفي الأثر (قيدوا العلم بالكتابة، وفيه أيضاً من علم بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم)[2].

ونجد أن صاحب الظلال يقول: (إنها السورة الأولى من هذا القرآن، فهي تبدأ باسم الله، وتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما توجه، في أول

لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى، وفي أول خطوة من خطواته، في طريق الدعوة التي اختير لها.. نوجهه إلى أن يقرأ باسم الله : (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ).

وتبدأ من صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء (خَلَقَ) ثم تخصص خلق الإنسان ومبدأه خلق الإنسان من علق قال تعالى: (خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ) (سورة العلق، الآية: 2) من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم، من ذلك المنشأ الصغير الساذج التكوين، فتدل على كرم الخالق فوق ما تدل على قدرته، فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يُعلّم فيَتْعَلَمْ (عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ). وإنها لنقلة بعيدة جداً بين المنشأ والمصير، ولكن الله قادر، ولكن الله كريم، ومن ثم كانت هذه النقلة التي تدير الرؤوس.

وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة التعليم: تعليم الرب للإنسان (بالقلم) لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان.. ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن وتعرفه في حياة البشرية، ولكن الله –سبحانه– كان يعلم قيمة العلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية، في أول سورة من سور القرآن الكريم.. هذا مع أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتباً بالقلم، وما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن لولا أنه الوحي ولولا أنها الرسالة!

ثم يبرز مصدر التعليم.. إن مصدره هو الله منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه، فهو من هناك من ذلك المصدر الواحد، الذي ليس له

هناك سواه، وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى، بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة.

كل أمر كل حركة كل خطوة كل عمل باسم الله وعلى اسم الله باسم الله تبدأ وباسم الله تسير، وإلى الله تتجه، وإليه تصير.

والله هو الذي خلق، وهو الذي علم، فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة.. والإنسان يتعلم ما يتعلم، ويعلم ما يعلم.. فمصدر هذا كله هو الله الذي خلق والذي علم.. (عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ).

وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التي تلقاها قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحظة الأولى هي التي ظلت تصرف شعوره، وتصرف لسانه، وتصرف عمله واتجاهه، بعد ذلك طوال حياته، بوصفها قاعدة الإيمان الأولى[3].

وبهذا نرى أن المرحلة السرية هي المرحلة الأولى في تبليغ الدعوة، ونرى أن التبليغ بدأ سراً وهي مرحلة واحدة وبالتالي استمرت الدعوة في هذه الفترة والتي كان عمرها ثلاثة سنوات، ولذلك كان لها منهجها وهو ما نسميه بمنهج المرحلة السرية.

ثانياً: المرحلة السرية:

أولاً: في بداية هذه المرحلة هنالك تساؤلات، لماذا بدأت الدعوة سرية في مرحلة البلاغ الأول؟

ثانياً: ما الواجب من المسلمين الذين وُجهت لهم الدعوة؟

ثالثاً: ما حكم المواجهة مع قريش في بداية الدعوة والمسلمون قلة؟

رابعاً: ما هو المنهج المطلوب للمرحلة السرية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات لابد أن نقول الإجابة من واقع الفقه الذي يخدم الدعوة ويعطى الإجابة الشافية.

أولاً: نقول أن الدعوة بدأت سرية دقيقة، الغرض منها عدم المواجهة مع الأعداء، وتربية المسلمين تربية نظامية حتى يتعودوا ذلك منذ نشأتهم، ويكون ذلك ديدنهم في حياتهم المستقبلية، والسرية هنا لا يمكن أن تكون عشوائية، فالأمر بالمعروف لدى الناس عندما يقومون بعمل ما لأول مرة لا يتبعوه بالدعاية والإعلان آملين أن يكون ذلك ما يرغب الناس في الانضمام إليهم، راجين أن يكثروا بذلك عددهم فينتصروا على أعدائهم وإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة أن أصحاب هذه الدعوة يؤمنون بأنهم على الحق، وأنهم مؤيدون من قبل ربهم، فإن ذلك يكون من أكبر الدوافع لهم على الانتقال إلى مرحلة الدعوة القادمة.

فلماذا بدأت الدعوة سرية؟

حيث يقتضي حسن التخطيط ودقة الدراسة أن يكون منهج هذه المرحلة مؤدياً للغرض المطلوب منه، وهو كما ذكرت من قبل عدم المواجهة مع العدو، وتربية جيل فاهم قادر على حمل التبعة والسير بها نحو غايتها، وإذا لم يؤد المنهج هذا الهدف فإنه يكون قد وضع وضعاً ارتجالياً غير مبني على دراسة وتخطيط، وحينئذ تتعرض الدعوة للمعوقات التي تشل حركتها وتفقدها مرونتها وقدرتها على التفاعل والتأثير، وليس لهذا المعنى سوى الفشل الذي يعقبه الزوال. أما إذا كان المنهج مدروساً مقنناً فإنه يواكب سير الحركة وتقدمها ويحقق الغرض المرجو، فتسير الدعوة سيراً حثيثاً، ويوقظ القلوب بحسن عرضها، ويتجمع الناس حولها لقوة الحق الذي تنادي به، وتسيطر على العقول بنصاعة الحق ووضوح البرهان.

ولننظر إلى مدى كان المنهج محققاً للدعوة السرية. فأما عدم المواجهة مع العدو فقد حققه المنهج عن طريقين أسهم كل منهما في تحقيق هذا الغرض

الأول: جعل المرحلة سرية حتى لا يطلع عليها إلا المؤمنون بها ممن وثق فيهم رسول الله صل الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضى الله عنه ، وقد

ساعد ذلك على ألا تصطدم بالخصوم والمعاندين. وهؤلاء في كل أمة هم الزعماء السياسيون وأرباب المصالح الشخصية. ولا يخفى ما لهؤلاء من تأثير على الذين يحيطون بهم من السفلة والضعفاء، وأنهم بحكم تسلطهم وبقوة نفوذهم يستطيعون معارضة الدعوة. وصرف الناس عنها وإيقاع الأذى بالمؤمنين بها.

الثاني: هو البدء بأسلوب البناء، والتوقف عن الهدم بمعنى أن الدعوة لم تتعرض لعقيدة القوم في مواجهتهم ولم تذكر آلهتهم بشيء، بل راحت تبنى عقيدة التوحيد في نفوس متبعيها دون أن تهتم كثيراً بمعتقدات القوم ولا بأوضاعهم الاجتماعية، ولا غير ذلك مما يثير الغضب وبسبب الصدام.

وليس أدل على ذلك من الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت موضوعات بعيدة جداً عن ذكر الوثنية وعيب الجاهلية مع كونها الآيات الأولى التي أوحى بها إلى الرسول صل الله عليه وسلم، فالآيات الأولى وهي (إقرأ باسم ربك الذي خلق) لم تذكر شيئاً من ذلك ثم الآيات التي أتت من سورة القلم وهي الآيات التي نزلت بعد (إقرأ) لم تتناول شيئاً منها ثم الآيات التي أتت من سورة المزمل، وهي التي نزلت بعد سورة القلم، وقد تلتها الآيات الأولى من سورة المدثر، وهي كذلك لم تتعرض للأصنام ولم تذكر الآلهة، ثم سورة الضحى التي نزلت بعد فترة الوحي، كل هذه الآيات من القرآن الكريم، نزلت لبناء العقيدة السليمة، وتكوين جيل يحمل الدعوة بعزم وإخلاص دون أن تتعرض للآلهة. ولا لما كان عليه المجتمع العربي من أوضاع فاسدة وخلل في التشكيل الاجتماعي والهيكل التنظيمي.

هكذا تجنبت الدعوة الصدام مع الأعداء، وجنبت رجالها الدخول في مهاترات تقودهم إلى مشكلات جانبية ليس عندهم من الوقت ما يتسع لها، وذلك لأن القيادة مشغولة بتربية الأعوان وإعدادهم. وظل هذا النهج سارياً طيلة الفترة السرية، وعندما بلغ قريشاً أمر رسول الله صل الله عليه وسلم لم يكن ذلك سبباً

في عدائهم له. وقال ابن اسحاق ولم يبعد منه قومه. ويقول المغريزي لما بلغ قريش ما أكرم الله تعالى رسوله بالنبوة راعهم ذلك، ولم ينكروا عليه شيئاً[4].

فإذا كان الغرض الأول قد تحقق وهو عدم المواجهة مع الأعداء فإن الغرض الثاني هو تربية الرعيل الذي سيحمل تبعة الدعوة وقد صفقة المنهج عن طريق التوعية والتثقيف حيث عرض كل المسائل التي تختلف مع الدعوة الجديدة وناقشتها بأسلوب علمي دقيق متبعاً في ذلك الطريقة الحوارية.

وقد ركز المنهج على عقيدة التوحيد، والإيمان باليوم الآخر، والجانب الأخلاقي، وناقش هذه الجوانب بموضوعية تامة لا يملك الإنسان السوي حيالها إلا الإذعان والتسليم، فترى مثلاً، موضوع العقيدة وهو الموضوع الأساس في هذه الدعوة دعوة الرسل، من لدن آدم عليه السلام – إلى نبينا محمد صل الله عليه وسلم ، وهو موضوع مع كونه فطرياً تميل إليه القلوب وتستحسنه العقول إلى أن الشياطين قد انحرفت بالناس عنه إلى الوثنية والشرك، وسلكت بهم طرقاً وعرة حتى ارتكبت عقولهم.

ولقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع بالمناقشة مع المخالفين، وعرض عليهم فكرة التوحيد مجردة من الشوائب، وأفردها بالعرض تارة متبعاً على أنها الحق الذي لا يمارس فيه أحد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (سورة الإخلاص: كاملة).

وتارة يعرضها ويعرض إلى جانبها صورة للآلهة المنتحلة ليظهر الفرق بين الإله الحق والإلهة المتررة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ (يوسف:29).

وكان لابد من تنويع أسلوب الحوار والانتقال به من المعقول إلى المحسوس، حتى تزعن العقول. وترى آيات القرآن الكريم المجيد تفرع العقو ل قال تعالى: (أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾) (الأنبياء:21-22).

وقال تعالى: (مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (المؤمنون:91) فالقرآن الكريم يقول لهم يستحيل أن يكون مع الله آلهة، لأن الشركاء دائماً يختلفون وأنتم تشاهدون ذلك بأعينكم.

ولكن من الناس من لا يؤمنون إلا بالماديات التي تخضع للتجربة، والقرآن الكريم طرف هذا الإسلوب المادي في المناقشة حول عقيدة التوحيد.

قال تعالى: (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) (النحل:76).

يقول ابن كثير "المراد به الوثن والحق – تعالى – يعني أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشر، ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا كل على مولاه.. هل يستوى من هذه صفاته ومن يأمر بالعدل أي بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة"(5).

فهذا ولا شك مثل ملموس محسوس، إذ لا ينكر أحد فضل المتكلم على الأبكم، ولا فضل المتصرف على العالة، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لرجلين

في الواقع الملموس لديكم فكيف تفضلون على الله آلهة لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع والله هو السميع البصير؟!![6].

ثم يضرب سبحانه وتعالى مثلاً أوضح متدرجاً معهم في بسط الحجج والبراهين ليفحم المكابرين، ويقر الأمر للراغبين فيقول تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(سورة الزمر: 29). نرى من خلال هذه الآية أن العمل مع هؤلاء المشركين وفي هذه المرحلة لابد من فقه يحرك عقولهم، وعواطفهم، ولم نجد في هذه الآية تخويفاً أو إجباراً لهم. وهذا هو فقه المرحلة ورد في فتح القدير في هذه الآيات "أي تمثيل حالة عجيبة بأخرى مثلها ثم بين المثل فقال: رجلاً فيه شركاء متشاكسون" والتشاكس التخالف. قال الفراء أي مختلفون. ثم قال "ورجلاً سلماً لرجل" أي خالصاً له وهذا مثل من بعيد الله وحده وأما المشاكس فهو مثل من أشرك بالله وعبدآلهة كثيرة، ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال "هل يستويان مثلاً" وهذا الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والمعني: هل يستوى هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة ونباتهم متباينة يستخدمه كل واحد منهم فيتعب وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته وهذا الذي يخدم واحداً لا ينازعه غيره إذا أطاعه رضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه فإن بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوه باستوائهما، لأن أحدهما في أعلى المنازل، والآخر في أدناها، ثم قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ (سورة الأنعام: 1) تقرير لما قبلها من نفي الاستواء، وللإيذان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به، ثم ضرب سبحانه عن نفي الاستواء

المفهوم عن الاستفهام الإنكاري إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون فقال: "بل أكثرهم لا يعلمون" وهم المشركون فإنهم لا يعلمون ذلك مع ظهوره ووضوحه.

قال الواحدي والبغوي والمراد بالأكثر الكل والظاهر خلاف ما قالاه، فإن المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شأنه وعلو مكانه وإن الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه، ولا يساويه في وصف من الأوصاف ويعلمون أن الله سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة، وأن الحمد مختص به[7].

وفي فقه المرحلة المكية لجأ القرآن الكريم إلى استنطاقهم بالتوحيد وذلك بتوجيه أسئلة مباشرة لا يمكنهم أن يتنكبوا الصواب فيها، قال تعالى: (قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾) (سورة المؤمنون: الآيات 84-89).

لقد كان مشركو العرب مضطربين في العقيدة لا ينكرون الله، ولا ينكرون أنه مالك السماوات والأرض، مدبر السموات والأرض، المسيطر على السموات والأرض. ولكنهم مع ذلك يشركون معه آلهة مدعاة، يقولون إنهم يعبدونها لتقربهم من الله، وينسبون له البنات، سبحانه وتعالى عما يصفون.

فهو هنا يأخذهم بمسلماتهم التي يقرون بها، ليصحح ذلك الاضطراب، في العقيدة، ويردهم إلى التوحيد الخالص الذي تعود إليه مسلماتهم[8].

وترى من فقه الدعوة في تلك المرحلة أسئلة مباشرة ومن الملاحظ أن كل هذه الأسئلة التي وردت في الآيات أسئلة تقريرية، ولقد حاصر بها القرآن الكريم

كفار قريش في تلك والمرحلة ولم تكن المحاصرة بالتهديد والتخويف وبالسلاح وإنما هي محاصرة ذهنية وهذا من فقه المرحلة.

ومن العناصر الهامة التي اعتمد عليها منهج الفترة السرية الإيمان باليوم الآخر. والحقيقة إن إقناع الناس بالإيمان باليوم الآخر يحتاج إلى جهد مكثف وتوضيح لمعنى العدالة التي تقتضى ألا يتساوى المحسن والمسيء والخبيث والطيب، وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر إيمان بشيء غيبي، ليس من شأن العقول أن تدرك ذلك بسهولة. وجعل الناس يمارون في هذا اليوم فتارة ينكرونه على سبيل التعجب والدهشة قال تعالى: (وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾)(الواقعة: الآيات 47-48) وتارة يتقون حدوثه نفياً مؤكداً (وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)(الأنعام: 29) وتارة يطلبون الدليل الحسي على صدق الدعو ى قال تعالى: (قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الجاثية: 26)، والإيمان باليوم الآخر مهم لتطوير الحياة البشرية والسمو بها إلى مرتبة تجعل الناس يسارعون في الخيرات ويتنافسون في الإحسان.

ومن أجل تثبيت هذه الحقائق في عقول الناس سلك القرآن الكريم مسالك شتى لكي تستقر في قلوبهم وتطمئن بها نفوسهم، فالله – سبحانه وتعالى – يخوف الناس من أهوال هذا اليوم ويحذرهم من الإساءة في الدنيا حتى لا يكون المصير سيئاً.

قال تعالى: (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾)(عبس:34-42).

وإذا كان المعاندون ينكرون البعث، فالله تعالى يقول إن الإعادة أسهل من البدء قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) (الروم:27) ويقول سبحانه: (أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) (العنكبوت:19)، والقرآن الكريم يضرب الأمثلة الحسية، فيقول عز شأنه (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (فصلت:39) ويقول جل جلاله (وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف: 57).

وهكذا يظهر للعقول السليمة أن الإيمان باليوم الآخر ضرورة من ضروريات الحياة السوية القادرة على إفساح المجال للتنافس بين الناس لإبراز أقصى ما يمكنهم إيداعه في الدنيا ليحصلوا جزاء عملهم في الآخرة.

ومشهد آخر من مشاهد اليوم الآخر حيث نرى قوة تأثيره في النفوس البشرية، ونرى كيف استطاع أن يحول القلوب من حب الحياة إلى حب الموت، ويخلص النفوس من التعلق بالمال والأهل والولد إلى التعلق بما أعده الله للمؤمنين في جنات النعيم. يقول تعالى : (هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦)

(الغاشية:1-16)

وترى من فقه الدعوة ومن خلال هذه المشاهد التي ذكرها القرآن الكريم، وكذلك السنة النبوية المطهرة كان لها تأثير كبير في حياة المؤمنين، حيث ملكت عليهم حواسهم وشغاف قلوبهم، فأخضعوا أجسامهم، وأرواحهم لمبادئها وسخروا كل ما ملكت أيمانهم لنصرة دعوتهم[9]. ومن فقه الدعوة في تلك المرحلة المكية، ومن خلال منهج هذه المرحلة نجد أنه لم يحرك المتلقِّي، ليقاتل ولم يحرك المتلقِّي لحب المال والسلطة، وإنما حرك عقله ليؤمن بالغيبيات ثم الجانب الأخلاقي.

ولقد اختار رسول الله صل الله عليه وسلم الدعوة إلى مكارم الأخلاق وفقاً لواقع المرحلة. ومن الشواهد على ذلك حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر، ولكي يكون الجانب الأخلاقي في تلك المرحلة مؤدياً للغرض المطلوب، وجب أن يركز على الصفات التي تستلزمها الأوضاع وتقتضيها الظروف، ويستطيع بها الدعاة أن يواجهوا المشكلات التي تعرض لهم في الطريق الطويل. الذي سيقطعونه، وفي أمثال ذلك الصبر والحلم والصفح واللين والرفق، والتوكل على الله، وحسن الصلة بالله والثقة في نصره لعباده المؤمنين. وهذه الصفات التي سبقت الإشارة إليها، وردت في ثنايا الآيات، المكية كثيراً، ففي سورة المزمل قال تعالى: (وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا)(سورة المزمل: 10) يقول ابن كثير يقول تعالى أمراً رسول الله صل الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله من كذبة من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه (10). ويقول تعالى: (وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ)(سورة المدثر: 7) وفي سورة الضحى وهي كذلك من سور تلك الفترة يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالرفق واللبن، حتى لا يقهر اليتيم، ولا ينهر السائ ل (فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠)(سورة الضحى: 9-10).

كما حذَّر تعالى من الوقوع في النميمة، وهي خلق سيئ يقطع أرحام المجتمع، ويمزق وحدته، ويجعله شيعاً وأحزاباً (وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ) (سورة الهمزة: 1).

وبعد هذا العرض يأتي دور التساؤل هل أدى هذا المنهج الغرض المطلوب؟ وهل حقق المسلمون ما كانوا يرجونه من ورائه؟ وهل كان يحق تمهيد للمرحلة الصعبة التي ستمر بها الدعوة؟ بعد انتهاء هذه المرحلة؟ لاشك أن ما كان من فقه في تلك المرحلة أدى الغرض المطلوب. ومن خلال فقه المرحلة المكية تلك كان فيه خلاص المدعوين من مواجهة الأعداء، وكان أن وجدت

الدعوة طريقها إلى القلوب بالتدرج في المكان الذي أراده الله تعالى فانتقلت من مرحلة اقرأ إلى يا أيها المزمل وإلى مرحلة يا أيها المدثر وإلى مرحلة فأصدع بما يؤمر وحتى وصلت إلى مرحلة آذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير.

المبحث الثالث

دعوة الأفراد في المرحلة المكية

في هذا المبحث ورد أن علياً آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدق بما جاءه من الله تعالى، وهو يومئذٍ ابن عشرة سنين، وكان مما أنعم الله به على عليَّ رضي الله عنه أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل الإسلام لأن أبا طالب كان كثير العيال، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وضمه إليه ولم يزل معه حتى بعث الله رسول صلى الله عليه وسلم رسولاً واتبعه على، وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي مستخفياً من أبيه، حيث يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا[11].

وورد أن سبب إسلامه أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان، فقال ما هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسوله، فأدعوك إلى الله، وإلى عبادته والكفر باللات والعزى فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، ولست بقاضي أمراً حتى أحدث أبا طالب. وكره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفشى سره قبل أن يستعلن أمره فقال له: يا علي إن لم تسلم فأكتم هذا. فمكث على هداه إلى الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه[12].

وبهذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلياً يصليان في الخفاء لأن الدعوة في لحظتها لم تكن للمواجهة والعلن، كما تشير الآيات المكية التي تتنزل في تلك اللحظات، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له إن لم تسلم فأكتم هذا، وهذا هو أسلوب التدرج والفقه الذي يأخذ من الضعف إلى القوة على حسب ما يناسب الموقف.

ثم كان من الذين سمعوا بالرسول صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفاري رضي الله عنه، حيث وصل إلى مكة المكرمة، وكان إسلامه وفقاً للتدرج في الدعوة إلى أن علم الحق وأظهره وألهمه الله تعالى فقهاً كان منهجاً للدعاة في المستقبل، ومخرجاً لمشكلة الدعوة في وقتها الحاضر.

وروى البخاري عن ابن عباس قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة، يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتني بخبره، فانطلق فلقيه، ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهي عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جراباً وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، حيث لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد، قال: فمر بي علي، فقال: كأن الرجل غريب؟ قال: قلت: نعم. فقال: فانطلق إلى المنزل فانطلقت معه، لا يسألني عن شيء ولا أسأله ولا أخبره، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد، لأسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء، قال: فمر بي علي فقال: أما زال الرجل لا يعرف منزله بعد؟ قال: فقال: ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال: قلت له: إن كتمت عليَّ أخبرتك، قال: فإني أفعل، قال قلت له: بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي الله فأرسلت أخي يكلمه، فرجع فلم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقه، فقال له أما إنك قد رشدت، هذا وجهي إليه، أدخل حيث أدخل، فإن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وأمضى أنت، فمضى: ومضيت معه حتى دخل، فدخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: أعرض عليَّ الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكاني: فقال لي: يا أبا ذر، أكتم هذا الأمر، وأرجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل، فقلت: والذي بعثك بالحق لأصْرِخنَّ بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد وقريش فيه، فقلت: يا معشر قريش، إن أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابي، فقاموا فضربت لأموت، فأدركني العباس، فأكبَّ عليَّ، ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم

تقتلون رجلاً من غفار؟ ومتجركم وممركم على غفار، فاقلعوا عني، فلما أن أصبحت الغد، رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بي ما صنع بالأمس فأدركني العباس فأكب عليَّ وقال مثل مقالته بالأمس(13).

وبعد هذا العرض في إسلام أبي ذر نلاحظ فقه الدعوة من خلال كلماته وأفعاله، ومن خلال ما أقره عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم من خلال أسلوب سيدنا علي رضي الله عنه معه، عندما قابله منذ أول وهلة، فمن الأسلوب الذي ألهمه الله تعالى لأبي ذر وهو مناسب مع واقع الدعوة في تلك المرحلة وهو فقه يتناسب مع هذا الجو الخانق وهو إلهام من الله تعالى لأبي ذر وذلك في عبارته التي تقول: (فجعلت لا أعرف الرسول صلى الله عليه وسلم، وأكره أن أسأل عنه، وهذا من الحكمة التي تتجلى في عبقرية أبي ذر رضي الله عنه، ثم فقه آخر وذلك في لحظات سيرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال، ثم انطلقت مع علي، لا يسألني عن شيء ولا أسأله، ولا أخبره إلى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم من الجوانب الفقهية التي تجدها في إسلام أبي ذر رضي الله عنه، وذلك عندما قابله علي رضي الله عنه، مرة ثانية وسأله عن السبب الذي أقدمه إلى هذه البلدة فقال له أبو ذر إن كتمت عليَّ أخبرتك، فقال له علي: إني أفعل، وقال له علي وهو ذاهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وأمضى أنت، فمضيا حتى دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم، وقال له يا أبا ذر: (أكتم هذا الأمر وأرجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل)، فمن هذه النقاط نرى أن قدر الدعوة كان بالحكمة والتدرج والفقه المناسب لواقع اللحظة. ثم واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته إلى معارفه وكل من لقيه يوجه له الدعوة لأنه مأمور، قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(سورة الشورى، الآية: 15)

واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته على حسب فقه المرحلة التبليغية بفقه يحمي الدعوة ويحمي الداعية ويحمي المدعو.

وذلك كما نرى في دعوته لعمرو بن عبسه. وعمرو بن عبسه بن خالد بن حذيفة الإمام الأمير وأحد السابقين وكان من أمراء الجيش يوم موقعة اليرموك ومن خلال حديث عمرو بن عبسه وهو يحكي قصة إسلامه نجد فقه الدعوة في هذه المرحلة التبليغية حيث قال: (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذٍ مستخف، فقلت: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما النبي؟ قال رسول الله. قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم. قلت: بمّ أرسلك؟ قال: بأن يعبد الله، وتكسر الأوثان، وتوصل الأرحام، قال: قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك على هذا؟ قال: حر، وعبد، يعني أبابكر وبلال، قال وكان عمرو يقول لقد رأيتني وأنا ربع، أو رابع أربع قال، فأسلمت.

قلت فاتبعك يا رسول الله؟ لا ولكن الحق يقومك فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني قال فذهبت إلى أهلي، فجعلت أتخير الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة. حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب في أهل المدينة، فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت يا رسول الله! اتعرفني؟ قال: نعم أنت الذي لقيتني بمكة؟ قال فقلت بلى. فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو عن الصلاة ووصلها له[14]. من فقه الدعوة الذي نلاحظه في الحوار الذي دار بين عمرو وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، نرى أن الرسول صلى الله

عليه وسلم كان مستخفياً وذلك لأن الدعوة لم يأت الأمر بالظهور بها، ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم فتح قلبه للسائل، وأجاب عليها بإجابات كانت سبباً في دخول عمرو الإسلام، ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالبقاء معه، بل أمره بأن يلحق بأهله، وذلك حتى يعد الرسول صلى الله عليه وسلم العدة برجاله ومن ثم الهجرة، وهذا من الفقه الذي كانت عليه الدعوة في مكة المكرمة. ولقد واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته إلى معارفه الذين قدموا إلى مكة، ومنهم ضمار الأزدي، كان من أزد شنؤه من اليمن، وكان يرقي من الريح، فسمع السفهاء في مكة يقولون أن محمداً مجنون، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقابل الكلمات بالمثل، بل كان يتصرف وفق الآيات التي تنزل، وكانت تنفي عنه الجنون، وكانت الآيات لا تدعوه إلى الانتقام، بل أسلوبها هو أسلوب التدرج، والفقه والثبات على الدعوة، (نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢) (سورة القلم، الآيتان، 1-2).

ولذلك عندما قابله ضماد الأزدي، قال للرسول صلى الله عليه وسلم يا محمد، إني أرقى من هذا الريح، فهل لك؟ فلم يقابله الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب النفي عن هذه الريح، بل قابله بصبر الداعية، وفقه الدعوة وقال له (الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) فقال: ضماد الأزدي، أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاث مرات فقال: سمعت قول الكهنة وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغت قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه[15].

وهنا من فقه الدعوة فلم يبايعه الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال، وإنما بايعه على الإسلام عموماً، وهذا هو فقه الدعوة في تلك المرحلة المكية، مع

الأفراد والجماعات وكذلك كان أسلوب القرآن الكريم، يرد على الجميع دون انتقام منهم في هذه الحياة، بل تحذير من المستقبل (۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾) (سورة سبأ، الآيات: 46-50)

في صدر الآيات جاء الأمر بالقيام والتفكر في أمر الجنون، وهذه الآيات المكية في تلك الفترة فقهاً وتدرجاً بالمدعو حتى الإقناع، وأورد ابن كثير فقال: (أي تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضم بعضاً هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً (ثم تتفكروا) أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك[16].

ومن الملاحظ في الآيات المتقدمة أنها لا تدعو إلى قتال ولا إلى مواجهة بأي صورة من صور القتال، وإنما كان الأمر تفكير في الأمر أي (تتفكروا) وهذه من فقه هذه المرحلة التي يجب أن يتعلمها الدعاة اليوم حتى يخرجوا بالدعوة إلى بر الأمان وهذا وقد واصل الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته، وقد أسلم أبوبكر الصديق رضي الله عنه قبل هؤلاء، كما يقال ذلك حيث ذهب

جماعة إلى أنه أول من أسلم. فقال الشعبي: (سألت ابن عباس من أول من أسلم؟ قال أبوبكر)، وقال حسان:

والثاني التالي المحمود مشهده ** وأول الناس قدما صدق الرسلا

واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة بن كعب بن لؤي. فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وقد كان صديقاً لرسول صلى الله عليه وسلم، قبل الإسلام وقد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم أبوبكر عمل أبوبكر الصديق أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم. حيث أدخله في دار الأرقم وأن أبوبكر الصديق كان أول الصحابة في الإسلام كما أشير إليه في بيت الشعر السابق، ولأن الدعوة في مرحلتها الأولى، فعندما دخل به ومعه الصحابة رضي الله عنهم إلى دار الأرقم ليعبدوا الله سبحانه وتعالى ألح عليه أبوبكر رضي الله عنه إلى الظهور، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إنا قليل.

لكنه أصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه وقام أبوبكر خطيباً والرسول صلى الله عليه وسلم جالس ودعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فثار المشركون على أبوبكر رضي الله عنه، وضربوه ضرباً شديداً[17].

ونجد في عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أبابكر إن قليل) فهذه العبارة التي تدعو إلى حفظ الدعوة والدعاة والتي فيها النظر إلى المستقبل وليس فيها عبارة (لا) وليس فيها عبارة لا تفعل وإن فيها (إنا قليل) وهذا يعني أنه لابد من وجود عدد كافي وأرضية ثابتة تنطلق منها الدعوة ومجموعة تواجه كل تحديات الدعوة. ثم بعد ذلك أسلم زيد بن حارثة على فقه الدعوة في تلك اللحظات وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصته أن حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيد وقد خلت إليه عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي يومئذٍ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها يا عمة أي

هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيداً، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له، فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل أن يوحى إليه، وكان أبوه حارثة فقد جزع إليه جزعاً شديداً، وبكى عليه حين فقده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، قال له بل أقيم عندك، فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه فلما أنزل الله عز وجل (ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) (سورة الأحزاب، الآية: 5). قال أنا زيد بن حارثة(18).

وبناءً على ما تقدم نجد أن الدعوة إلى الله تعالى قامت على بصيرة وكان لابد لها من فقه قدَّر الله تعالى لها أن تكون عليه، وقد قام رسول الله صلى الله عليه بأمر ربه في هذه الدعوة على الوجه الأتم والأكمل، وفي تلك المرحلة المكية حتى كانت على ما كانت عليه. وذلك كما نرى في المبحث الخامس وهو أسلوب الحوار في المرحلة المكية.

المبحث الرابع

أسلوب الحوار في المرحلة المكية

(الإسلام دين يهتم بالتخطيط والدراسة، ويدعو إليهما دعوة جادة وواعية، ولم يقتصر في دعوته هذه على النظرية الافتراضية لأنه يعلم أن الناس كثيراً ما يهملون الجوانب النظرية، ولا يهتمون بالاتجاهات الفرضية لهذا فإن الإسلام أبرز جوانب التخطيط والدراسة إبرازاً عملياً، واعتبره من الجوانب التطبيقية، ونظراً إلى الذين يفرطون في ذلك على أنهم قوم جانبوا الصواب وانحرفوا عن الجادة وهم لذلك لا يستحقون عون الله وتأييده.

إن القرآن الكريم يلفت نظرنا دائماً إلى جانب التخطيط والدراسة الموضوعية لكل موقف يقفه المسلمون ويشير بوضوح بل يأمر أمراً لا يحمل التأويل في مثل قوله جل وعلا : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) (سورة النساء: 102).

هذه الآية الكريمة من القرآن المجيد ترسم لنا خطة معركة عسكرية في مواجهة عدو يتربص بالمسلمين وينتظر الفرصة المواتية لينقض عليهم انقضاض الوحش الجائع على فريسة غافلة، وهو بذلك ينبه على منهج المسلمين

في كل تصرفاتهم، فليس ذلك في الحرب فقط، بل هو عام في السلم والحرب، في الحياة الاجتماعية والشئون الاقتصادية، في الأمور السياسية والجوانب التربوية إذ لا يليق بالمسلمين أن يهملوا التقنين والتخطيط في حياتهم معتمدين على تأييد الله لهم ومعونته إياهم.

إنه من الواجب على المسلمين ألا يقتحموا ميداناً إلا بعد الدراسة والتخطيط، ولا يقدموا على عمل إلا بعد أن يتعرفوا على أبعاده ونتائجه ويتأكدوا أنهم يسيرون بخطوات ثابتة نحو هدفهم وغايتهم، وليس عليهم جناح إلا لو قضوا بعد ذلك، لأنهم قد بذلوا جهدهم، وخططوا على قدر طاقتهم، والثمرة المرجوة بعد ذلك بيد الله جلا وعلا إن شاء منحها لهم وإن شاء أمسكها عنهم لأنه ربما كان في إمساكها عنهم خيراً أكبر من منحها، والله وحده هو الذي يعلم ذلك ويقدره لعباده..

إن التخطيط سمة من سمات العمل الإسلامي الناجح، والفوضي ضرب من ضروب الحمق والسفه، فهؤلاء الذين يريدون أن يعملوا للإسلام تحت شعار التوكل من غير أن يخططوا لما يريدون عمله هم أبعد الناس حقيقة عن روح الإسلام وتعاليمه، والذين يحسبون أن العمل للإسلام إنما هو دروشه وبله زاعمين أنهم ما داموا يعملون للإسلام فإن الله لابد أن ينصرهم، هؤلاء هم أجهل الناس بالإسلام، وحقيقته، أفلا يعلم هؤلاء أن الله عز وجل قال للمؤمنين في الآية السابقة (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ

أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا).

وهل لأخذ الحذر معنى سوى الاحتياط حتى لا يفاجأ المسلمون بما يكرهون؟ وهل الاحتياط إلا نتيجة حتمية للتحسب والتخطيط حتى لا يقع المحذور؟ أفبعد هذا يظن عاقل أن التوكل على الله بغير تخطيط وتقنين كافٍ لأن يبلغ المسلمين مآربهم؟ إن الدعوة الإسلامية منذ نشأتها وهي دعوة مقننة، ليس للعشوائية فيها مجال، ولا للتخبط فيها نصيب، ومن يدقق النظر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجدها أنموذجاً عالياً للتخطيط والتقنين، فليست هناك خطوة من خطوات الدعوة غير مدروسة، وليس هناك عمل من الأعمال التي حققت هدفاً من أهداف الدعوة غير مخطط ولقد سارت الدعوة في مراحلها المتعددة سيراً يدل بوضوح على دقة التخطيط وحسن الدراسة ألا ترى أنها بدت سرية، ثم أخذت شكلها العلني وبقيت سرية التنظيم، فلما اشتد عودها وأصبحت قادرة على المواجهة والصمود خرجت على الناس جميعاً بشكلها النهائي؟[19].

المبحث الخامس

من نماذج الدعوة بيعة العقبة الأولى والثانية:

حيث ورد في هذا المبحث قول ابن إسحاق (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقيه رهطٌ من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم. قال أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك، وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه، قتل عاد وأرم، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض، يا قوم، تعلمون والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا وهم ستة نفر من الخزرج. فلما قدموا المدينة إلى قومهم، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة قال: وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب، وذلك كما جاء عن عبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عش رجلاً فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وفي رواية لعبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بجزةٍ في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء عزب وإن شاء غفر)[20].

وهكذا استمرت الدعوة على هذا الأسلوب الذي لم يكن فيه قهراً ولا إغراء بالمال ولا أخذاً بالسلطان وإنما هو تدرج وفقه وذلك لأمر يكون لما بعده.

وبعد بيعة العقبة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة للدعوة إلى الله تعالى، ثم رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوساط أيام التشريق، حيث أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله.

قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب ومان من أعلم الأنصار، حدث أن أباه كعب بن مالك حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً، فوالله ما أدرى أتوافقوني عليه أم لا؟ قال قلنا: وما ذاك؟ قال رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلى إليها قال فقلنا: والله ما بلغنا أن نبياً صلى الله عليه وسلم يصلي إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، قال فقال: إني لمصلي إليها. قال فقلنا له: لكنا لا نفعل، قال قلنا: إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة، قال وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى الإقامة على ذلك، فلما قدمنا مكة قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلت المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال فوالله ما أنس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم، قال: فقال له البراء بن معرور يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك، فماذا ترى يا

رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها، قال: فرجع البراء إلى قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى هنا إلى الشام، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم[21].

من خلال هذا الحديث وفي عبارة (لو صبرت عليها) نرى فقهاً جميلاً في الدعوة أولاً نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر البراء بالإعادة، كذلك لم يأمره بأن يتوب ويقول له هذا مخالفة ولم يؤدبه لأن الدعوة في تلك الفترة المكية تحتاج إلى تدرج مع المدعو وتحتاج إلى فقه يحل مشكلة المدعو.

ولذلك قال السهيلي في التعليق على هذا الحديث قوله: (لو صبرت عليها) إنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى لأنه كان متأولاً.

قال ابن إسحاق: قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق قال، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابن جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا.

فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكو حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرنا بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان تقياً، قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع[22].

قال فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج، قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها إن محمداً حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده، قال فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتلكم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أزرنا. وأزرنا أي نساءنا، والمرأة يكنى عنها بالإزار، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال البراء يومئذٍ: فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن النبهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها يعني اليهود، فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، قال ابن قتيبة، كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك، وهدمي هدمك، أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا. وبغية الكلام أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم. قال ابن هشام ويقال: الهدم الهدم، يعني الحرمة، أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

قال كعب بن مالك: وقد كان قال الرسول صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرفضوا إلى رحالكم، قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والله الذي بعثك بالحق إن شئت لتميلت على أهل متي غداً بأسيافنا؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم، قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا[23].

قال ونفر الناس من مِنى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فادركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بتسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجمنه، وكان ذو شعر كثير، حتى استجار بأبي البحتري بن هشام ثم أنه كان يجير جبير بن مطعم، وكذلك الحارث بن حرب بن أمية[24].

وإلى هنا بدأت حياة جديدة في الدعوة، بعد هذه البيعة، ومنهج جديد والناس لم يخرجوا من مكة والدعوة مستمرة بالفقه الذي أراده الله تعالى لها في تلك المرحلة. وقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بالقتال وذلك عندما قال له أحد الصحابة رضي الله عنهم لو أردت أن نميل على أهل منى بسيوفنا فقال له لم نؤمر بذلك، وقال لهم: (أذهبوا إلى رحالكم) ولم يقل لهم واجهوا القوم، ولم يقل لهم استعدوا للقتال، وكذلك من الفقه الميسر الذي شاهدناه هو أنه عندما أتى رجال قريش عندما اكتشفوا المعاهدة إلى منازل الأوس والخزرج في منى حجاجاً وأثاروا قصة اللقاء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم لم يتكلموا ولا كلمة بل صار ينظر بعضهم إلى بعض. هذا الفقه الحكيم وتدبير الله تعالى لهذه الدعوة وهذا من الحذر في تقديم الدعوة في تلك اللحظات.

المبحث السادس

مضمون الخطاب الدعوي

في تلك الفترة المكية كانت البداية من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المضمون الدعوي هو أن يقرأ الإنسان وذلك كما جاء التوجيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ربه (إقرأ) وكان القرآن الكريم هو المضمون في تلك وبدأ نزوله ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملكه للمدعويين، فكل آية تنزل كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون مقاصدها وبراعتها ويعرفون ما ترمي إليه فهو في دار الأرقم يدرس هذا المضمون وكان التركيز في المنهج الدراسي التثقيفي يرتكز على تفهيم وتوطيد وشرح العقيدة الصحيحة في حق الله تعالى لأن الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام. ثم كان شرح الصفات اللازمة والصحيحة في حق الله تعالى وتعليم أسمائه الحسنى، كما كان من مهامها التدريب على تلاوة القرآن الذي كان ينزل تباعاً كي يقرءونه بطريقة صحيحة ثم يجملونه لمن خلفهم. ثم شرح بعض الأحكام القليلة التي ترد في القرآن ومعظمها كان في العقيدة والأخلاق، ثم فرضت الصلاة بعد ذلك[25].

ونجد أن المضمون الدعوى هو المادة المقدمة للمدعو ليستفيد منها حسب حاجته، وهي كذلك لا يمكن تجديدها لأنها تتنوع بحسب حاجة المدعو والمعرفة التي تنقصه، فقد يحتاج المدعو أن يعلمه الداعي سورة الفاتحة، فتكون هي المضمون المحمول إليه، وربما كان المضمون مدرسة أو مسجد يسد حاجة تنقص المدعو وهكذا يتنوع ويتعدد الموضوع المقدم المحمول بالوسيلة، وعلى العموم فإن موضوع الدعوة أو المضمون هو كل ما يصلح شأن وحال المدعو ولا يعارض المنهج الإسلامي العام. وأصول الدين ومقاصده فالإسلام كله مضمون دعوى وموضوع له وبالتالي نقول: أن مضمون تلك الفترة كان هو القرآن الكريم وما يأتي من تفسير وتعليم وإرشاد من الرسول صلى الله عليه وسلم. وعليه كان العمل، وكان فقه الدعوة من القرآن الكريم، حيث أخذ به

الرسول صل الله عليه وسلم، وكانت به خطواتهم في الدعوة، وكان منهجهم في الخروج من الأزمات التي تواجههم في الدعوة[26].

ولذلك لما بدأت الاضطهادات في السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة، ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهراً فشهراً حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبأ بهم المقام في مكة، وأوعزتهم أن يفكروا في حيلة تنحيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الساعة الحالكة الضنكة نزلت سورة الكهف تحمل ردوداً على أسئلة جاء بها المشركون إلى النبي صل الله عليه وسلم ولكنها اشتملت على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، (وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا) (الكهف:16)

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجرى ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة للظاهر ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنكس تماماً وسيهزم هؤلاء الطغاة المشركون إن لم يؤمنوا أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين، قال تعالى: (أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾) (الكهف: 79 – 82).

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده بين آونة وأخرى من يقوم بانجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، قال تعالى:

(قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾)(سورة الكهف: 94- 98).

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد علم أن النجاشي ملك الحبشة ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتن. وفي رجب من سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة. كان مكوناً من أثنى عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام فيهماء أنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام.

كان رحيل هؤلاء تسللاً في ظلمة الليل – حتى لا تقطن لهم قريش خرجوا إلى البحر، ويمموا ميناء شعيبة، وقبضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، وفطنت لهم قريش، فجدت في آثارهم، ولكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين، وأمام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار[27].

ومن الملاحظ من خلال ما تقدم نجد فقه الدعوة في تلك المرحلة فقهاً يتناسب مع واقع تلك المرحلة، فالقرآن نزل ليخرج الناس من حرج ومن ضيق مفروضاً

عليهم، حيث لم يتخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام قراراً ليقول للجماعة أخرجوا خارج مكة إلا بعد نزول القرآن الكريم، ثم كان من فقه الدعوة في تلك المرحلة خروج الصحابة رضي الله عنهم تسللاً في ظلمة الليل. حتى لا يقطن لهم أحد، ثم أن من فقه الدعوة في تلك المرحلة القرآن الكريم، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام في مكة، يقذف في قلوب قريش القرآن الكريم، كان يحرك قلوبهم، ويسحرهم بالقرآن حتى يصرع الحق عنادهم، وهم لا يشعرون. وهذا ما حدث في رمضان من أواخر السنة الرابعة، خرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى الحرم، وهناك جمع كبير من قريش، كان فيه سادتها وكبرؤها، فقام فيهم، وأخذ يتلو سورة النجم بغتة، وإن أولئك الكفار لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك، لأن أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً من قولهم: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ)[فصلت:26] فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وقرع أذانهم كلام إلهي رائع خلاب – لا يحيط بروعته وجلالته البيان – تفانوا عما هم فيه، وبقي كل واحد مصغياً إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب ثم قر أ (فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩)[النجم: 62] ثم سجد، ثم لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العتاد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين)[28].

فهذا هو المضمون الدعوي الذي كان عليه العمل في تلك المرحلة والذي أتمنى أن يكون عليه الدعاة وأسأل الله التوفيق .

الخاتمة :

من خلال الدراسة والعرض توصل الباحث إلى عدد من النتائج الممنهجة والتوصيات القابلة للتطبيق

النتائج:

1. الدعوة في كل عصر وفي كل مصر تحتاج إلى فقه.
2. من أحسن الأساليب والوسائل في الدعوة تلك الخطة التي وضعت في بداية الدعوة.
3. التدرج في الدعوة مع المدعويين أدى إلى إقلاع الناس عما ألفوه في الفترة المكية.
4. الحذر وأخذ الحيطة كان في بداية الدعوة أمراً ضرورياً.
5. متابعة المدعوين وتعهدهم بالتربية.
6. واقع الخطاب الدعوي اليوم المخرج من أزماته هو بما كان عليه فقه الدعوة في المرحلة المكية.

التوصيات :

وبناءً على ما توصلت إليه من نتائج يوصى الباحث على ما يلي:

1. الفقه في الدعوة في كل عصر من عصورها.
2. لابد من الرجوع إلى التدرج القرآني الذي أخذ بالمدعوين شيئاً فشيئاً.
3. على الدعاة أخذ منهج المرحلة السرية والتبليغية والجهرية في كل وقت.
4. على الدعاة أخذ الناس بالقرآن وذلك كما كان في الفترة المكية.
5. تنوع أسلوب الداعية وذلك على حسب واقع المكان والزمان.
6. لابد من ربط الواقع الدعوي الحالي بواقع الماضي الدعوي.

الهوامش :

1. المدخل لعلم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني.
2. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الشيخ إسماعيل أبو الفداء، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الفكر، 1412هـ-1992م، ج4.

3. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م، الأجزاء 12-18.
4. تقنين الدعوة، محمد السيد الوكيل.
5. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج2.
6. تقنين الدعوة، محمد السيد الوكيل، مرجع سابق.
7. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية، 1420هـ-2000م، ج4.
8. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، الأجزاء 12-18.
9. تقنين الدعوة، محمد السيد الوكيل، مرجع سابق.
10. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج2.
11. السيرة النبوية لابن هشام، الجزأين الأول والثاني، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقى، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي.
12. كتاب علي بن أبي طالب، تأليف: محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت.
13. صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج 14، 1405هـ-1985م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب إسلام أبا ذر رقم الباب 3612.
14. دلائل النبوة، ج2.
15. دلائل النبوة، مرجع سابق ج2.
16. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج3.
17. كتاب أبوبكر الصديق، محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ-1983م.
18. السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج1.

19. تقنين الدعوة، محمد السيد الوكيل، مرجع سابق.
20. السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق.
21. السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق.
22. السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق.
23. السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق.
24. السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق.
25. الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، بروفيسور/ محمد زين الهادي العرمابي، ط 1، مطابع السودان للعملة، 2005م، تأليف: بروفيسور/ محمد زين الهادي العرمابي.
26. الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، بروفيسور/ محمد زين الهادي العرمابي، مرجع سابق.
27. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار المؤبد، تاريخ الطبع 1418هـ-1998م.
28. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، مرجع سابق.